Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ التدوين :

واضح مما بين أيدينا من المراجع الأدبية والعلمية أن تدوين الشعر — عموما — لم يبدأ إلا فى أواخر العصر الأموى ، وأن التدوين بدأ فى أول الأمر تدوينا من التلاميذ لما يمليه عليهم شيوخهم فى الأدب أو فى النحو أو فى التفسير . ثم تلا هؤلاء طائفة من الرواة المدونين حرصوا على أن يكون عملهم منهجيا قائما على أصول وقوانين ثابتة ، فألزموا أنفسهم بتمحيص ما يسمعون عن طريق المقابلة والموازنة ، كما التزموا بالارتحال إلى الصحراء طلبا للعرب الخاص ليوثقوا ما يدونونه على ما اشتهر من أمر الأصمعى المتوفى نحو سنة ٢١٥ هـ وأبى عمرو الشيبانى المتوفى سنة ٢١٣ هـ .

أما فيما قبل العصر الأموى ، فقد كان اعتمادهم بالدرجة الأولى على الحافظة ؛ إذ لم يثبت أن الجاهليين اعتمدوا فى حفظ شعرهم وغيره من الفنون الأدبية على الكتابة والتدوين .

وما روى من أن بعض المقطوعات الشعرية كانت مكتوبة لا يعنى — على فرض التسليم بصحته — أكثر من أن ذلك كان بقصد الإبلاغ ، وليس بقصد الحفظ والتدوين .

ولا ريب فى أن الفارق كبير بين ما كتب إبلاغا وما كتب تدوينا ؛ إذ الأول نوع من الرسائل والمكاتبات توجه من شخص إلى آخر أو من قبيلة إلى أخرى أو إلى بعض أفرادها للانباء بما وقع أو سيقع من أحداث على نحو ما روى من رسالة لقيط بن يعمر الإيادى وهو فى أرض فارس إلى قومه ينبئهم بما يعد لهم كسرى ، ويحذرهم من الغفلة ، تلك الرسالة التى ضمنها قصيدته العينية ، ومطلعها يقول :

أبلغ إيادا وحلل فى سراتهم أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نصعا

ولقد قرر الجاحظ ذلك فى قوله : وكل شىء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام . . . فما هو إلا أن يصرف — يعنى العربى — وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى إرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه (١)

---

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٣٨